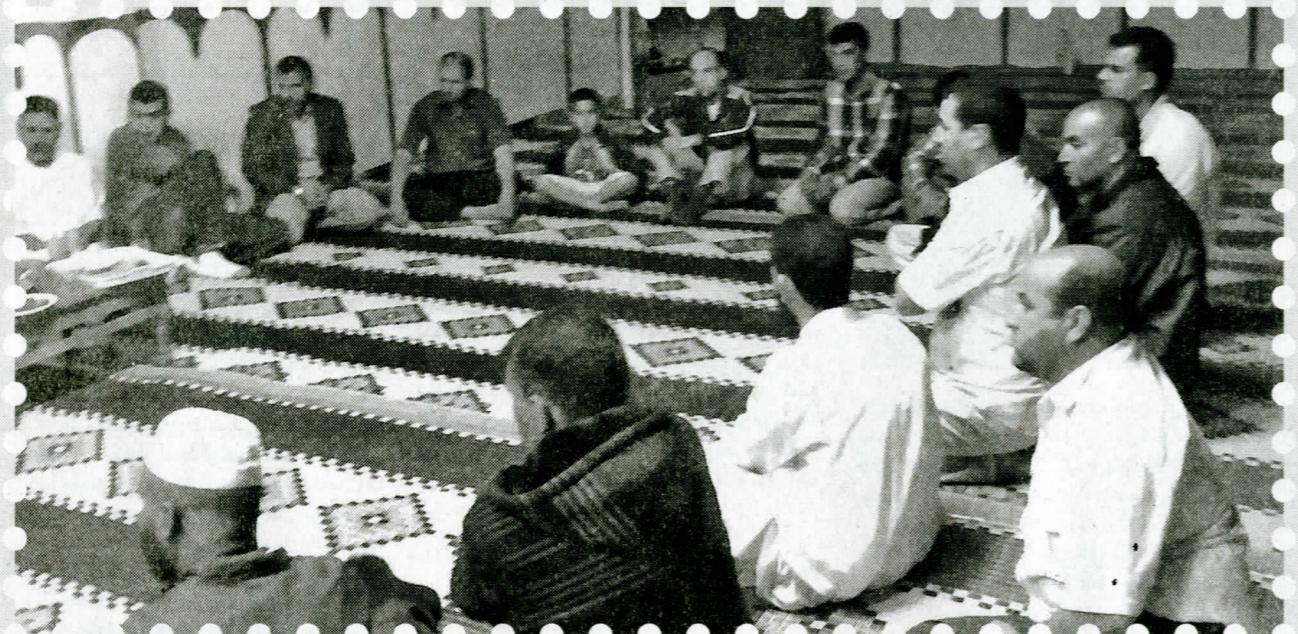


الإعلام والسياسيون يغذون العنصرية ضد المسلمين في إسبانيا

الإعلام والسياسيون مسؤولون عن تصاعد ظاهرة كراهية الإسلام.



مسلمون بأحد مساجد محافظة "تابارا" الإسبانية

كشفت دراسة حول موضوع «الإسلام: الواقع الاجتماعي في إسبانيا، تحليل حالة الإسلام في المجتمع الإسباني» أُنجزها كل من «أناكارتيشي وكارول داكوسطانياس» لصالح الرابطة الإسبانية لحقوق الإنسان تنشر لأول مرة (كشفت) عدداً من المظاهر التي تكسر الصورة النمطية حول المسلمين وكذا مظاهر التمييز الذي يطال هذه الفئة، وكشفت الدراسة إن وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة تساهم بدورها في تغذية العنصرية والتمييز ضد المسلمين وفي الإسلاموفobia. وتقول الباحثتان إن البحث استمر ستة أشهر، تم خلاله القيام بمقابلات مع عدة شخصيات حول الموضوع، علماء دين، أستاذة وسياسين وأعضاء في المجتمع المسلم في إسبانيا إضافة إلى سوسورو حجين وأئمة وجمعيات ومنظمات غير حكومية، واعتمد البحث على تحليل وتقدير قائمة الأفكار المنسقة والصور النمطية الموجودة حول الإسلام والتي تساعده على تغذية الخوف من الإسلام، ويقول الباحثتان إن أهم نقطة بربت خلال البحث تمثل في الحاجة إلى التفكير في كيفية خلق وتشجيع إسلام إسباني خاص وأن من المشاكل الحالية هو أنه يتم التبشير بإسلام لا يناسب واقع المسلمين الذي يعيشون في إسبانيا.

إعداد: سنا القويطي

- تشير الدراسة إلى أن معظم الأئمة يأتون من الخارج ويكونون قد درسوا الإسلام في البلدان الأجنبية، وعندئذ يكون من الصعب على الأئمة تكيف الدين مع الممارسة الثقافية والحياة اليومية للمسلمين الذين يعيشون في إسبانيا
- تقول الدراسة إن الإسلام رغم أنه ثانوي ديانة في العالم ويعيش قرابة مليون ونصف مسلم في إسبانيا إلا أنه يقع ضحية عدم المعرفة، وهذا الجهل يغذي أسوأ أنواع الرفض

عن ذلك علينا. فقط في حالة عدم الكشف عن الهوية في الاستجابات يعبرونحقيقة عمما يفكرون به. هذا الأمر يجعل من الظاهرة أكثر خطورة لأنه من الصعب تقبيلها

وبخصوص الأرقام الصادرة بخصوص موقف الإسباني فيما يتعلق بالحجاب، فقد أظهرت دراسة مركز الأبحاث السوسيولوجية في عام 2008، أن ما يقرب من 30 بالمائة من الذين شملهم الاستطلاع يعتقدون أنه من المقبول تماماً استبعاد تلميذة من المدرسة لارتدائها الحجاب. و61 من السكان مقتنعون بأن استبعاد تلميذة لارتداء الحجاب أمر غير مقبول.

وبالرجوع إلى نتائج دراسة أعدتها مؤخرًا مؤسسة BBVA بالتعاون مع معهد «ابيسوس» وأجريت في 14 بلدًا أوروبياً، ترى أن 49.5% بالمائة من الإسبان يرفضون بشكل تام ارتداء الحجاب في المدارس. ومع ذلك، 49.3% بالموافقة، يرون أنهم يفضلون وضع الصليب داخل قاعات الدرس.

وتقول الباحثتان آنا وكارول، «نرى إذن رفضًا إزاء ارتداء الحجاب، خاصة عندما يتعلق الأمر بارتدائه في المدارس من جانب قرابة نصف السكان الإسبان، بالمقابل لا نجد أي مشكل في حضور الصليب في الفصول. ونرى إذن أنه يتم القبول والنظر نظرًا عاديًّا للرموز الدينية المسيحية لكن يتم اقصاء المسلمين لدين آخر».

في عام 2007، نشرت المعهد الملكي «إيكانو» تقريراً أظهر أن 96 بالمائة من شملهم الاستطلاع يعتقدون أن المسلمين مهووسون بالجنس، 90 بالمائة يعتقدون أنهم مستبدون، 68 بالمائة يستخدمون العنف و37 بالمائة لديه رأي سلبي من الإسلام.

ووفقاً لـ«المرصد الأنديسي لمراقبة ورصد أوضاع المواطنين المسلمين والخوف من الإسلام في إسبانيا»، فإن 25 بالمائة من الإسبان ضد تمكين الأجنبي المسلم من الحق في التصويت على الإطلاق. ويرفض 32 بالمائة بناء المساجد في أحياطهم وغطاء الرأس. وأعرب 60 بالمائة عن انعدام الثقة في المسلمين. الأبحاث أظهرت أن النساء الكاثوليكيات المنتسبات إلى اليمين، والأشخاص الذين تتجاوز أعمارهم 50 سنة، والمتقدعين، يرتفع لديهم مؤشر الإسلاموفobia.

وبقراءة هذه الأرقام يتبيّن أن الإسبان يرفضون بشكل إيجابي ارتداء الحجاب في المدارس. ومع ذلك، 49.3% بالموافقة، يرون أن هناك بعض الرفض ولكن لا يخليون حرج

هذه الأرقام. كما تدل هذه الأرقام على ازدواجية السكان الإسباني، فهي تبيّن فرضهم بشكل كبير للمسلمين في الحياة اليومية لكن بالمقابل عدد قليل جداً منهم يعبرون

بالمائة من الناس اعترفوا بشعورهم بالاحتقار. وقد تعرض 24 بالمائة للإهانة، وكان 11 بالمائة ضحية الاعتداءات التهديدات اللغوية و5 بالمائة ضحية الاعتداءات الجسدية.

هذه الأرقام تؤكد على كراهية بعض السكان الإسباني للمسلمين. ومع ذلك، 69 بالمائة من المسلمين الذين شملهم الاستطلاع يعتقدون أنهم يتقبلون بشكل جيد المسلمين.

وفي أبريل 2010، ميتروسكوبيا، في دراستها للمجتمع مسلم مهاجر في إسبانيا أظهرت أن 14 بالمائة من الناس اعترفوا بوجود نوع من العقبات في ممارسة شعائرهم الدينية في إسبانيا.

هذا الرقم هو في انخفاض طفيف مقارنة مع 2008، التي قال فيها 17 بالمائة أنهم يواجهون صعوبات. وتم تحديد هذه الصعوبات في: تقص المساجد 11 بالمائة، قلة الوقت لأداء الصلاة 5 بالمائة، مشاكل بخصوص صيام رمضان 1 بالمائة.

وفي نفس الاستطلاع في أبريل 2010، فإن 31 بالمائة من الساكنة المستجوبة يعتبرون أنه حالياً يوجد في إسبانيا رفض أو شوكوك إزاء الإسلام.

وبحسب معطيات المديرية العامة للشرطة والحرس المدني الإسباني فما بين يناير 2004 وماي 2005 حدث 30 اعتداء اعتبرت موجهة ضد المسلمين.

- يعتقد أن العداء للمسلمين أمر طبيعي.

وقام الباحثون بتجميع أرقام معبرة لعدد من الويبات التي أظهرت أن الخوف من الإسلام ثابت ومثير للقلق في إسبانيا. وسلطوا الضوء على النظرة السلبية من قبل الإسبان إزاء المسلمين، في ظل وجود شعور متزايد من الرفض تجاه المسلمين يغذيه التحامل والصور النمطية.

ومن الأسئلة على التمييز، ما أظهرته آخر استطلاعات الرأي من أن 52 بالمائة من المواطنين الإسبان يحملون تصورات سلبية عن المسلمين. وهذا مؤشر على ارتقاء الخوف من الإسلام لدى عموم السكان.

وفي دراسة استقصائية أجريت في مدريد، حول التعامل داخل المدينة أشارت إلى أن ما يقرب 30 بالمائة من السكان الأجانب يعتقدون بتعريضهم للتمييز في بعض الأحيان. وأسباب التمييز المشتملة هي متنوعة وعديدة، منها: أن تكون من بلد آخر.

وفي نفس الاستطلاع في أبريل 2010، فإن 92.7 بالمائة، التمييز بسبب لون البشرة أو العرق، وتمثل 28.1 بالمائة، وبسبب المعتقدات أو الدين 6.6 بالمائة. هذا التمييز أدى إلى أن 40.4 بالمائة فقط من السكان الأجانب في مدريد، يشعرون أنهم مدريدين.

2 الصور النمطية

استند البحث على عدد من الإحصائيات للتتأكد على تنامي الإسلاموفobia بشكل ملحوظ خلال السنوات الأخيرة في إسبانيا، وتحديداً العنصرية وكراهية الإسلام، في تقريرها «الخوف من الإسلام يشكل تحدياً بالنسبة لنا جميعاً»، حددت الجمعية البريطانية غير الحكومية «رونيميد» مفهوم الخوف من الإسلام، وقالت «يمكن اعتبار أن شخصاً يخاف من الإسلام شخصاً يرى الإسلام ككتلة واحدة متجانسة».

- الإسلام مختلف وليس لديه قيم مشتركة مع الثقافات الأخرى، التي لا يتأثر بها أو لا يؤثر في.

- يعتقد أن الإسلام هو أدنى من الغرب. ينتهز ضد على أنه همجي وغير عقلي، بدائي ومتخيّل ضد النساء.

- يعتقد أن الإسلام دين عنف، عدواني، تهديد، مصدر للإلهاب وصراع الحضارات.

- يعتقد أن الإسلام هو عقيدة سياسية تستخدم للحصول على مزايا سياسية أو عسكرية.

- يستخدم العداء للإسلام لتبرير الممارسات التمييزية تجاه المسلمين، واستبعاد المسلمين من التيار الرئيسي للمجتمع.

1 كليشيهات تقليدية حول الإسلام

تقول الدراسة إن الإسلام رغم أنه ثانوي ديانة في العالم ويعيش قرابة مليون ونصف مسلم في إسبانيا إلا أنه يقع ضحية عدم المعرفة، وهذا الجهل يغذي أسوأ أنواع الرفض.

ومن الصور النمطية التقليدية تلك التي تظهر في اللغة اليومية وكذا الاحتفالات الشعبية، فالأحكام المسقية تنتقل في خطاب الناس، وفي اللغة المشتركة إذ تستعمل العديد من التعبيرات الموجهة ضد المسلمين يومياً في الحديث عن المسلمين مثل كلمة «المور» التي هي التعبير الشائع للاعتداءات اللغووية العنصرية ضد المسلمين في إسبانيا، إضافة إلى ذلك فإن العديد من التعبيرات الشعبية المتخيّلة تغذى الأحكام المسقية حول الإسلام، ويمكن أن تذكر على سبيل المثال العبارة التالية: «لا يوجد مورو في الشاطئ» و«الخروج إلى المورو». بل

تغذى الأحكام المسقية حول الإسلام، ويمكن أن تذكر على سبيل المثال العبارة التالية: «لا يوجد مورو في الشاطئ» و«الخروج إلى المورو». بل

وسائل الإعلام

توجّح الإسلاموفوبيا

ان الثقافة الخاصة والاختلافات التقليدية تواصل تغذية هذه الأحكام في العديد من البلدان الإسبانية، يختلفون كل سنة باختلافة تسمى «المورو والكريستيانو، أي المسلمين والسيحيين» حيث يتم خالها إحياء ذكرى طرد المسلمين من إسبانيا. وهذا يعني أنه لا يزال الإسبان يتذكرون طرد المسلمين من الأندلس في جو من الاحتفال، وفي معركة وهمية يكون الفوز دائماً من نصيب المسيحيين. اليوم، من المفهوم أن مثل هذه الأحداث والاختلافات قد تسيء إلى السكان المسلمين الذين يعيشون في إسبانيا، إذ لا يأخذ في الاعتبار حساسية هذه الفتنة من السكان، بل أيضاً من الغريب أن قديساً إسبانياً يسمى سانتياغو ماتاموروس «قتل المورو» ما زال حاضراً بقوة في العقيدة الإسبانية ومن المثير للدهشة وجود العديد من الناس في إسبانيا يحملون اسم «ماتاموروس». ومن مظاهر هذه الصورة النمطية «الخطيبين العربي والمسلم»، فمعظم السكان الإسباني لا يميزون بين مسلم وعربي، في حين أن كل المسلمين ليسوا عرباً كما أن كل العرب ليسوا مسلمين.

دائماً عندما يتم الحديث عن الإسلام يتم الرجوع والإهلاة إلى دور المرأة، وتنبع الدراسة إلى ضرورة إعادة النظر في الكليشيهات حول المرأة المسلمة، وخاصة فيما يتعلق بالمرأة المسلمة والحجاب. وقبل الخوض في الموضوع اعتبرت الدراسة أنه من الضروري التمييز بين الأشكال المختلفة لخطاء الرأس لأن الجهل يولد في كثير من الأحيان الإرتياح والرفض. وميزة الدراسة بين 5 أنواع من خطاء الرأس: الحجاب، الشادر، الشيله والنقب والبرقع.

وتوضح أن من بين هذه الأشكال فإن الذي يمكن اعتباره أرداه وأدبه هو الحجاب حسب تفسيرات القرآن الكريم.

ومن الصور النمطية السائدة كذلك في المجتمع الإسباني عدم المساواة المزعومة بين الرجل والمرأة في الإسلام، وكثيراً ما يقبل أن المرأة تخضع للرجل ولها حقوق أقل مما كان. لكن الدراسة تشير إلى أنه من حيث الحقوق، فإن الإسلام أعطى المرأة منذ البداية إذ يمكنها العمل، والشهادة والبيع والشراء، والإرث بشكل مستقل. إلى جانب الحق في المشاركة السياسية، والحق في الطلاق والتبرير عن الرأي والمساواة أمام القانون، في حين أنه في إسبانيا مثلاً لم تحصل النساء على الحق التصويت حتى عام 1931.

ومن الكليشيهات السائدة عن الإسلام كونه يرعى العنف المنزلي ويستندون في ذلك على تفسير بعض آيات القرآن الكريم، ومن الصور الأخرى أن جميع المسلمين يمارسون تعدد الزوجات وأن القرآن يحرض على الحرب المقدسة وهي الحرب «بمعنى «الجهاد»، بينما يتم الحديث عن «الجهاد» بمعنى «الحرب المقدسة»، وقد ترسخت هذه الصورة بعد اعتداءات 11 سبتمبر.

الشبكة مساحة كبيرة من الحرية، بحسب السيطرة المحدودة جداً على المحتوى المنشور.

عبارات مثل «حول الإسلام لم تزدهر أي فكرة للحرية» إن الإسلام لا ينافي مع الديمقراطي «المورو سوف يضعون نهاية لنظمتنا البيضاء على الحرية بفرض قوانينهم وتقاليدهم التي ليست حتى في القرآن الكريم» هذه ليست سوى أمثلة على ما يمكن الاطلاع على الانترنت في عملية بحث بسيطة عن كلمة الإسلام وبالنسبة للتلفزيون، قدمت الدراسة عدة أمثلة من بينها أنها عندما تتناول الروابط تجاه موضوع البرقع فإنها تظهر صور نساء يرتدين الحجاب، ويتم عرض صور لنساء في باريس لتوضيح مشكلة البرقع المزعومة في إسبانيا. وبغير هؤلاء مسألة نشر صور مستقاة من الخارج للحديث عن البرقع في إسبانيا تكون من الصعب العثور على هذه الصور في البلد محلياً، وإذا كان من الصعب جداً الحصول على الصور، فإن ذلك بسبب أن مثل هذه الحالات غير موجودة تقريباً في إسبانيا. ومع ذلك، فإنه لأسباب لا يكاد يخلو برنامج إخباري من تناول هذا الموضوع وهذا ولد الخطأ، وبالتالي غنى الكراهية» تقول الدراسة.

الانترنت هو المرحلة الأكثر تطوراً وتطرفاً فيما يخص الإسلاموفوبيا بما عليه الشأن في الصحف أو بنفس الطريقة في صفحاتها الأولى عند تقطيعها مثلاً التلفزيون. والعنصرية والإسلاموفوبيين يجدون في والصورة السلبية لمجموعات الأقلية مثل الرومان /

للثورة الإيرانية وهجمات 11 سبتمبر.

كما ذكرت مقالاً نشر في صحيفة «الموندو»، وكان عنوانه «الإسلام: الغزو عن طريق الرحمن» وضع فيه الكاتب نظرية مفادها أن كثيراً من المساجد الإسبانية تنشر دعوة إلى انجذاب العديد من الأطفال لاستعادة جيدة للعالم المسلم، كما أن بعض الأشخاص وبينية مبنية يستغلون وسائل الإعلام وخاصة الانترنت لنشر بيانات كراهية الإسلام طوعاً. وتسائل الدراسة عن دور الصحافة في تطوير الخوف من الإسلام.

ولاحتل الدراسة أن الصحف الأولى للجرائد مليئة بالقوالب النمطية. ففي كثير من الأحيان يتم ربط الإسلام بالإرهاب. وأضافت أنه «من غير المعقول الاستمرار في قراءة عنوانين مثل «الإرهاب الإسلامي» في الوقت الذي لا يتحدث أي أحد في إسبانيا مثلاً عن «الإرهاب الباسكي». وإذا كانت الصحافة قد اتخذت إجراءات لتجنب ربط الإرهاب بال巴斯كيين، فلماذا لا تأخذها من أجل إزالة الصفة الإسلامية التي تجعل الناس يعتقدون أن الإسلام يشجع على الإرهاب؟».

وأعطت الدراسة مثلاً باثنتين من أهم الصحف الإسبانية «البايس» و«أ بي سي»، فتسجد أنه على الرغم من ميلولاتهم السياسية المختلفة، إلا أنها تعاملها بنفس الطريقة في صفحاتها الأولى عند تقطيعها مثلاً وسائل الإعلام التي تفضي إلى انتشار المفاهيم والأفكار والمعتقدات. لكنها لسوء الحظ، سواء كان ذلك عن الصحف والتلفزيون والإنترنت، أو الخطابات هي وسائل الإعلام التي تفضي إلى انتشار المفاهيم والأفكار والمعتقدات. لكنها لسوء الحظ، سواء كان ذلك عن المعاداة للمسلمين. وتضيف الدراسة أن معظم وسائل

5 توصيات الدراسة

النمطية حول المسلمين، مؤكدة على أنه لن يكون هناك أية أحكام مسبقة عن الإسلام إذا كان الناس يمتلكون المفاهيم الضرورية لفهمه. وتضيف «إذا كان يريد القضاء على ظاهرة الخوف من الإسلام، يجب علينا أن ننظر إلى الأجيال القادمة».

ولتجنب إعادة إنتاج النظام الحالي، من الضروري أن يبلغ الشباب ماهية الإسلام، حتى يتمكن من تشكيل رأيه الخاص حول ما يقرأه في الصحف».

وتأسفت الدراسة لكون إسبانيا اتخذت نفس مسار فرنسا فيما يخص النقاش الكاذب حول الحجاب، دونأخذ الوقت الضروري للتفكير قبل نقل إشكاليات لا توجد حالياً في إسبانيا. وتسائل الدراسة إذا ما كانت هناك حاجة ملحّة لمحظى البرقع والنقاب في حين لم تكن هناك حالة واحدة سجلة في إسبانيا ولم يتم أي تحقيق أو بحث في المسألة.

وقالت الدراسة إن النتائج التي ظهرت في فرنسا بعد حظر الحجاب في المدارس على الفتيات دون سن 18 عاماً، أظهرت أن هذا الفرض لم يوفر بيئة سلية ومرضية للتعايش في المجتمع، في حين أن حملة مكافحة مظاهر التمييز ضد المسلمين اقتصرت على ذلك بمشروع تحالف الحضارات الذي اقترحه ثاباتيرو رئيس الحكومة السابق، مما شيرت إلى فشل النقاش حول الهوية الوطنية في فرنسا.

ومن أجل خلق مجتمع يحظى فيه الجميع بالاحترام ترى الدراسة أنه من الضروري تقييف وتربيبة الناس وخاصة الأطفال، وذلك بямagem الإسلام في برؤية استشرافية دون معرفة جيدة

الحرية الدينية في المدارس وذلك بتوفير المواطنة لمحاربة الجهل وكل مظاهر الصور

- من غير المعقول الاستمرار في قراءة عنوانين مثل «الإرهاب الإسلامي» في الوقت الذي لا يتحدث أي أحد في إسبانيا مثلاً عن «الإرهاب الباسكي»
 - إذا كانت الصحافة قد اتخذت إجراءات لتجنب ربط الإرهاب بال巴斯كيين، فلماذا لا تأخذها من أجل إزالة الصفة الإسلامية التي تجعل الناس يعتقدون أن الإسلام يشجع على الإرهاب؟»
- معظم وسائل الإعلام تركيز في تقديمها الإسلام على ممارسات أقلية أو متطرفين لأن هذه هي الصورة التي يريدون إظهارها بريدها الناس . وفي كثير من الأحيان ، يتناول الصحفيون الإسلام ببرؤية استشرافية دون معرفة جيدة

4 الإسلام في إسبانيا والإسلام الإسباني

خلال البحث، أثيرت نقطة مهمة من طرف المجتمع المسلم ومن قبل المفكرين السياسيين أو المنقفين الذي شاركوا في المقابلات وتعلق بمعاهدة الإسلام للحياة في دول العالم الإسلامي وأوروبا. هذه النقطة طرحت مشكلة تكيف الإسلام كما يمارس في هذه البلدان مع القيم الغربية. ممثلو المجتمع المسلم الذين التقى بهم الباحثان أكدوا على جملة مهمة «يجب علينا خلق إسلام إسباني حتى يتمكن أطفالنا من الحصول على أجوبة مناسبة».

وفي نظر الباحثين فإن هذا الإسلام لا يمكن أن يتحقق إلا بتوفير عدد من الشروط منها ضمان المساواة الدينية، وهذه الأخيرة غير موجودة على أرض الواقع وظهور عدم المساواة من خلال عدة مظاهر منها عدم تلقي تنظيمات ومنظمات المجتمع المسلم تمويلات من الدولة ومؤسساتها وإن توفر فإنه يكون ضعيفاً بالمقارنة مع ما تتقاضاه الكنيسة الكاثوليكية، كما تظهر هذه المساواة في مسألة استخدام الرموز الدينية في الفضاء العام، وأن الطلاب في المدارس العامة لا يتلقون دروساً دينية وفقاً لقناعاتهم الدينية.

وتطهير هذه اللامساواة في موضوع المقابر فرغ أن المادة 2.5 من اتفاقيات التعاون بين الدولة الإسبانية واللجنة الإسلامية في إسبانيا تعرف بـ «الجمعيات الإسلامية التابعة للجنة الإسلامية في إسبانيا، تمنح الحق في قطع الأرض المخصصة لدفن الموتى المسلمين في المقابر البلدية، والحق في بناء المقابر الإسلامية خاصة بالmuslims فقط»، وعلى الرغم من هذه الاتفاقيات ومبادرة الحكومة في عام 2007 لتشجيع إنشاء مقابر إسلامية، لا يزال المسلمين يجدون صعوبة في دفن موتها، غالباً ما يكون الحل الوحيد هو العودة إلى الوطن في بلدان الأصل.